

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

« موج من فوقه موج »

هذه حقيقة تم الوصول اليها بعد إقامة مئات من المحطات البحرية.. والتقاط الصور بالأقمار الصناعية.. والذي قال هذا الكلام هو البروفسور شرايدر.. وهو من أكبر علماء البحار بألمانيا الغربية.. كان يقول: إذا تقدم العلم فلا بد أن يتراجع الدين.. لكنه عندما سمع معاني آيات القرآن بهت وقال: إن هذا لا يمكن أن يكون كلام بشر..

ويأتى البروفسور دورجاروا أستاذ علم جيولوجيا البحار ليعطينا ما وصل إليه العلم في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.. سورة النور: 40.

فيقول لقد كان الإنسان في الماضي لا يستطيع أن يغوص بدون استخدام الآلات أكثر من عشرين مترا.. ولكننا نغوص الآن في أعماق البحار بواسطة المعدات الحديثة فنجد ظلاما شديدا على عمق مئتي متر.. الآية الكريمة تقول: (بحر لجي) كما.. إعطينا اكتشافات أعماق البحار صورة لمعنى قوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾.

فالمعروف أن ألوان الطيف سبعة.. منها الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر والبرتقالي إلى آخره.. فإذا غصنا في أعماق البحر تختفي هذه الألوان واحدا بعد الآخر.. واختفاء كل لون يعطي ظلمة.. فالأحمر يختفي أولا ثم البرتقالي ثم الأصفر.. وآخر الألوان اختفاء هو اللون الأزرق على عمق مئتي متر.. كل لون يختفي يعطي جزءا من الظلمة حتى تصل إلى الظلمة الكاملة. أما قوله تعالى: ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ فقد ثبت علميا أن هناك فاصلا بين الجزء العميق من البحر والجزء العلوي.. وأن هذا الفاصل ملئ بالأمواج فكان هناك أمواج على حافة الجزء العميق المظلم من البحر وهذه لا نراها وهناك أمواج على سطح البحر وهذه نراها. فكانها موج من فوقه موج.. وهذه حقيقة علمية مؤكدة ولذلك قال البروفسور دورجاروا عن هذه الآيات القرآنية: إن هذا لا يمكن أن يكون علما بشريا.

أمهات المؤمنين

خديجة بنت خويلد

نوفل، ووكيل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عمه أبو طالب. وكان أول المتكلمين أبو طالب فقال: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا، محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به، وإن كان في المال قلا فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد مَن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وقد بذل لها من الصداق ما آجله وعاجله اثنتا عشرة أوقية ذهباً ونشأ -أي نصف أوقية- وهو والله بعد هذا له نيا عظيم، وخطر جليل».

ثم وصل الخبر إلى عم السيدة خديجة، فأرسل إلى رؤساء مضر، وكبراء مكة وأشرفها لحضور عقد الزواج المبارك، فكان وكيل السيدة عائشة عمها عمرو بن أسد، وشركة ابن عمها ورقة بن نوفل، ووكيل الشام وباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يُظْلانه -صلى الله عليه وسلم- من الشمس وهو يسير على بعيره، ولما قدم -صلى الله عليه وسلم- مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فربحت ما يقارب الضعف.

الخطبة والزواج

وأخبر ميسرة السيدة خديجة بما كان من أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- فبعثت إلى رسول الله وقالت له: «يا ابن عم ! إنني قد رَغِيتُ فبك لقرابتك، وشِرفك في قومك وأمانتك، وحَسَنَ خلقك، وصدق حديثك» ثم عرضت عليه نفسَهَا، فذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذلك لعمّه الحبيب الذي سُرّ وقال له: «إن هذا رزق ساقه الله تعالى إليك».

ووصل الخبر إلى عم السيدة خديجة، فأرسل إلى رؤساء مضر، وكبراء مكة وأشرفها لحضور عقد الزواج المبارك، فكان وكيل السيدة عائشة عمها عمرو بن أسد، وشركة ابن عمها ورقة بن

قريش أتى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد» وشهد على ذلك صناديد قريش.

الذرية الصالحة

تزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- السيدة خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وولدت السيدة خديجة للرسول -صلى الله عليه وسلم- ولده كلهم إلا إبراهيم، القاسم -وبه كان يكنى-، والظاهر والطيب -لقبان لعبد الله-، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة فاما القاسم وعبد الله فهلكا في الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فاسلمن وهاجرن معه -صلى الله عليه وسلم-.

إسلام خديجة

وبعد الزواج الميمون في خمسة عشر عاما نزل الوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم- فأمّنت به خديجة، وصدقت بما جاءه من الله، وآزنته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله، وصدقت بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه -صلى الله عليه وسلم- لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه وتصقه، وتهون عليه أمر الناس، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «أمّرت أن أبشر خديجة ببيت من قُصَب -للؤلؤ المحصوت-، لا صخب فيه ولا نصب»..

فضل خديجة

جاء جبريل إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال: «إن الله يقرأ على خديجة السلام...» فقالت: «إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله».

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة»..

عام المقاطعة

ولما قُضِيَ على بني هاشم وبني عبد المطلب عام المقاطعة أن يخرجوا من مكة إلى شعابها، لم تتردد السيدة خديجة في الخروج مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لتشاركه أعياء ما يحمل من أمر الرسالة الإلهية التي يحملها، وعلى الرغم من تقدمها في السن، فقد نأت بأثقال الشيوخة بهمة عالية وكأنها عاد إليها صباها، وأقامت في الشعاب ثلاث سنين، وهي صابرة متسببة للأجر عند الله تعالى.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.. البقرة آية 186. فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا يا محمد وانت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية.

وقال الحسن: سببها أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه؟ فنزلت، وقال عطاء وقتادة لما نزل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.. غافر آية 60. قال يا قوم: في أي ساعة ندعوه؟ فنزلت أي إذا سالك عبادي عن المعبود فأخبرهم يا محمد أنه قريب ينيب على الطاعة ويوجب الداعي وأنه قريب من أوليائه بالإفضال والأنعام، لقد أمر الله عباده بالدعاء وحض عليه وسماء عبادة ووعد بأثمه يستجيب لهم.

فعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أعطيت أمّتي ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء كان الله إذا بعث نبيا قال: ادعني استجب لك. وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم. وكان الله إذا بعث نبيا قال له: ما جعل عليك في الدين من حرج. وقال لهذه الامة: ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله إذا بعث نبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة شهاداء على الناس.

وللدعاء شروطه وآدابه حتى يستجيبه الله تعالى وأولها اجتناب الاعتداء المانع من الاجابة حيث قال في آية اخرى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين﴾. ولا يدعوا الداعي باثم أو قطعية رحم وما لم يستعجل وإلا يأكل الداعي الحرام ففي الحديث: (ما بال الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأتى بستجاب له ذلك). وقد قال العلماء ان اجابة الدعاء لا بد لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي المدعو به، فمن شرط الداعي أن يكون عالما بأنه لا يقدر على حاجته إلا الله تعالى وأن الوسائط في قبضته ومسخره بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب من قلب غافل لاه، وقبضته ومسخره بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب من قلب غافل لاه، وأن يكون مجتنبيا لأكل الحرام، والا يمل من الدعاء.

ومن شرط المدعو فيه ان يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال ما لم يدع بإثم أو قطعية رحم فيدخل في الاثم كل ما ياثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم، وأما شروط الدعاء فسيعة أولها التضرع والخوف والرجاء والمرؤه والخشوع والعموم وأكل الحلال.

وقال ابن عطاء ان للدعاء أركاناً واجنحة وأسبابا وأوقات فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والرافقة والاستكانة والخشوع وأجبحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله

الدعاء المستجاب



عليه وسلم وقيل شرائط الدعاء أربعة أولها حفظ القلب عند الوحدة وحفظ اللسان مع الخلق وحفظ النظر الى ما لم يحل وحفظ البطن من الحرام. وقد قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال لأن قلوبكم قد ماتت. قالوا وما الذي أماتها؟ قال عشر خصال قالوا وما هي؟ قال عرفتم حق الله ولم تطيعوه، وعرفتم حق الرسول ولم تتبعوه سنته، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به، واكلمتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الاموات ولم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس فاسخطتم ربكم وخالقكم فكيف يستجيب الله بعد ذلك لدعاكنم.

والدعاء المطلوب في كل الاوقات غير أنه في بعض الاوقات اكبر ومن هذه الاوقات السجود وعند الاذان والاقامة وبينهما في السحر وعند جلوس الخطيب بين الخطبتين ويوم الجمعة وعند نزول المطر وعند التقاء الجيشين وفي الثلث الاخير من الليل وفي المرض وفي السفر وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وفي الصيام وليليتي العيدين ويوم عرفة وهو في بعض الاماكن اجدر بالقبول في المساجد وعند قبر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وفي الروضة الشريفة وفي المسجد الحرام وفي المسجد الأقصى وفي مقام ابراهيم وفي حجر اسماعيل وفوق عرفات.

والدعاء مقبول ولكن هناك دعوات لا يردّها الله تعالى وهي دعوة الصائم حتى يظفر ودعوة المظلوم ودعوة المرء الى اخيه في طهر الغيب ودعوة الوالد لولده او عليه ودعوة الامام العادل ودعوة المسافر ودعوة الغائب للغائب ودعوة الرسل والانبياء والصالحين والدعاء باسم الله الاعظم والدعاء بالاناثور من القرآن والسنة وآثار الصالحين.

والدعاء تتنوع الاجابة له فقد يعطي المرء مطلوبه وقد يرفع الله عنه به مكرها وقد يدحز له من الكرامة في الاخرة ما هو في حاجة اليه وخير دعوة هي ما ادخرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاعة لامته يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشارك بالله شيئا.

ومن المواقف الایمانیة في الدعاء الماثور أن نبي الله موسى عليه السلام كان يرعى غنم الرجل الصالح الذي استأجره (نبي الله شعيب) فنزل بها يوما في واد يقال له وادي الذئاب، ونظر حوله فاذا بالذئاب تحيط بغنمه من كل جانب وقد أدركه التعب والنصب ولم يقو على رعيها فاتجه الى الله يدعو دعاء المضطر قائلا اللهم أحاط سبعة علمك وسبعة تدبيرك وتفتت ارادتك وكلت حيلتي وانت تعلم اني مؤثمن عليها رعاها لي والقي بعصاه ونام فلما استيقظ وجد الذئاب تحيط بغنمه حتى لا تشرد منها الشاه ووجد كبير الذئاب وقد أمسك بعصاه، فقال الهي وسيدي ما هذا الذي أراه؟ فقال الله تعالى يا موسى لا تعجب مما ترى يا موسى كن لي كما أريد أكن لك ما تريد.